عرض مشروع .. إعادة تأهيل واستخدام استراحة ستوبلير بالبر الغربي - الأقصر مركزاً للتدريب على تقنيات التوثيق الأثري ثلاثي الأبعاد

مركز طارق والي العمارة والتراث

رابط التعريف الرقمي (DOI) [10.47288/TWCJ.2022.V07.ISS13.P01](https://doi.org/10.47288/TWCJ.2022.V07.ISS13.P01)

الملخص

يعرض المقال ملخصاً لإحدى مشروعات مركز طارق والي العمارة والتراث الذي تبنى رؤية مغايرة للفكر الاستشرافي حول دور المجتمع المصري في مجال الحفاظ على التراث في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من خلال إعادة تأهيل واستخدام استراحة ستوبلير بالبر الغربي بالأقصر ، مركزاً للتدريب على تقنيات التوثيق الرقمي ثلاثي الأبعاد . والاستراحة هي واحدة من الأعمال المعمارية المبكرة للمعماري المصري حسن فتحي ، والتي بالرغم من كل ما تحمله من قيم تاريخية و معمارية و عمرانية فإنها ظلت لعقود شبه مهجورة ومجهلة، ولا تتمتع بأي حماية قانونية ومعرضة للكثير من عوامل التدهور الطبيعية والانسانية. وجاء مشروع إعادة تأهيل استراحة ستوبلير نتيجة للتوافق بين حاجتين أساسيتين:

الأولى هي الحاجة الى مقاومة ما تعرضت له الاستراحة خلال عقود من عوامل التدهور المهددة لوجودها المادي مع غياب دورها الانتفاعي، بالإضافة إلى عمارتها الفريدة وموقعها المتميز.

والثانية هي الحاجة الى تطوير مقر لمركز التدريب على المسح الضوئي ثلاثي الأبعاد والتوثيق عالي الدقة للمواقع الأثرية في أقرب موقع ممكن لوادي الملوك بالبر الغربي بالأقصر.

ومن هنا كانت الفرصة لحماية الاستراحة و احياء التجربة من جديد باستعادة الحلم الضائع للمعماري وللمجتمع وإعادة تقديم التجربة في صورة معاصرة تواكب معطيات العصر في القرن الواحد والعشرين بكل متغيراته دون ان نسقط الموروث الحضاري والمجتمعي الذي تمثله تلك العمارة.

الكلمات الدلالية

التراث المعماري ، إعادة التأهيل ، استراحة ستوبلير ، المشاركة المجتمعية ، القيم الثقافية ، الحفاظ على التراث ، التوثيق الرقمي ثلاثي الأبعاد

عرض مشروع ..

إعادة تأهيل واستخدام استراحة ستوبلير بالبر الغربي - الأقصر

مركزاً للتدريب على تقنيات التوثيق الأثري ثلاثي الأبعاد

مقدمة

يمثل إعادة تأهيل واستخدام استراحة ستوبلير مركزاً للتدريب على تقنيات التوثيق الأثري ثلاثي الأبعاد عالية الدقة، تجربة لتحقيق ذلك التوازن المحسوب بين احترام الموروث والتطلع إلى المستقبل؛ تجربة تتداخل أبعادها وتجمع بين الحفاظ على نموذج لعمارة تراثية رائدة في زمانها وضمان استمراريتها المادية والثقافية، وبين تفعيل دورها الممكن كمنبر يساهم في الحفاظ على التراث المعماري المصري بشكل عام ومعاصرة معطيات العصر. هي عودة الروح أو لحن جديد على أوتار قديمة، ليست استهلاكاً إستشرافياً للموروث ولكنها حالة عقلانية لنقل الموروث الى معاصرة الحادث والحديث.

ويمكن القول إن المشروع يمثل :

- نموذج لإمكانية مقاومة خسائر الموروث الشعبي لعمارة الطين في مصر حيث يتسارع معدل فقدان المباني التراثية وخاصةً عمارة الطين وتحديداً الغير مسجلة منها وذلك نظراً لقلّة الوعي الثقافي بقيمة هذا النوع من المعمار وكذلك إمكانيات إحيائه.
- نموذج لما يمكن أن يساهم به التراث نحو المحافظة على الثقافة المحلية والهوية العمرانية. حيث يتعدى أثر المشروع الحفاظ على الوجود المادي للعمارة التراثية للمبنى الى إحياء ما تحمله من قيم الهوية الثقافية للمجتمع المحلي - والتي ترسخها عمارة الطين -، وما ترتب عليه من استدعاء لعدد من طرق وتقنيات البناء التقليدية وعدد من الحرف التراثية المكملة لها، بل والتقاليد والأعراف المرتبطة بها، مما أسهم في تأكيد الاعتزاز بالتراث المصري لعمارة الطين وتعزيز الشعور بالانتماء والهوية.
- نموذج لما يمكن أن يساهم به التراث نحو تنمية المجتمع المحلي. حيث حقق التفاعل المتبادل مع المجتمع المحلي في مختلف مراحله أثراً نحو ترسيخ الدور الإيجابي للتراث في تنمية المجتمع، نتيجة لما طرحه المشروع من فرص لتدريب وبناء الكوادر الفنية سواء على حرف وتقنيات الترميم والبناء أثناء إعادة تأهيل المبنى أو التدريب على تقنيات التوثيق ثلاثي الأبعاد بأحدث التقنيات بعد تشغيله، مما فتح آفاق جديدة للعمل أمام أفراد المجتمع المحلي.
- نموذج للكيفية التي يمكن أن تتكامل بها خبرات الحرفيين والمتخصصين والأكاديميين وغيرهم، في المراحل المختلفة من التخطيط والتنفيذ والتشغيل للمشروع، حيث ضم فريق عمل المشروع فئات مختلفة ومتنوعة من

- الخبراء المحليين والدوليين بالإضافة إلى الاستعانة بفريق من الحرفيين والمرممين الذين دعمت خبراتهم التطبيقية في ترميم عمارة الطين تطوير رؤية متكاملة للمشروع .
- نموذج لقدرة إعادة التوظيف على تحقيق الاستدامة لمجهودات الحفاظ، فمن ناحية يمثل إعادة توظيف الاستراحة أفضل الوسائل لتحقيق استدامة الحفاظ على المبنى ومن ناحية أخرى اشتراكه في الحفاظ على التراث المصري بشكل عام حيث جاء اختيار الوظيفة الجديدة محققا استعادة تجربة المحتوى الأصلي للاستراحة بصورة معاصرة تتمثل في نقل الخبرات الحديثة في مجال التوثيق والحفاظ على الآثار بتقنياتها الحديثة من خلال إعادة توظيف المبنى مركزاً للتدريب على تقنيات التوثيق ثلاثي الأبعاد لنقل المعرفة إلى الكوادر المصرية. ويمثل المركز الأول من نوعه في مصر والأكثر تقدماً في هذا المجال، وتكرس مجهوداته للحفاظ على التراث في مصر مع ضمان مستوى عالي من المهارة والمعرفة في المنطقة وتنميتها .
 - ويأتي إعادة تأهيل واستخدام استراحة ستوبلير مرحلة من مشروع اشمل هو مشروع الحفاظ على جبانة طيبة. في محورين متوازيين:

الأول: تطبيق تقنيات التوثيق الأثري عالية الدقة، والتي تمنح القدرة على رصد وتسجيل كامل وعالي الدقة للمواقع الأثرية في صيغ إلكترونية تساعد الدارسين وتسهل عملية اكتشاف المزيد من أسرارها. ومن ناحية أخرى ستفتح أبعادا جديدة أمام المهتمين بالحفاظ على المواقع الأثرية .

الثاني: فتح أبواب تبنى التقنيات الحديثة في التوثيق والحفاظ على التراث المصري وهو المجال الذي يمكن القول انه لم يطرق على المستوى المحلي حتى انطلاق المرحلة الأولى من مشروع الحفاظ على جبانة طيبة .

وهكذا جاء مشروع الحفاظ على جبانة طيبة في تعاون مؤسسي بين كل من جمعية أصدقاء المقابر الملكية، جامعة بازل، مؤسسة فاكتوم آرت، لفتح المجال في مصر لتبني تلك التقنيات للمساعدة في الحفاظ على التراث المصري الفريد في جبانة طيبة، مما سيمثل نواة لإنشاء مركز دائم للمسح الضوئي والتوثيق في الأقصر.

بدأ تنفيذ المشروع في أبريل 2016 واستغرق التنفيذ الفعلي لتدخلات الحفاظ وإعادة الاستخدام عشرة أشهر انقسمت بين حوالي ثمانية أشهر لأعمال الترميم تبعثها شهران لمرحلة التجهيزات الفنية والتقنية الخاصة بإعادة الاستخدام، ليتم افتتاح مركز التدريب رسميا في فبراير 2017. قام بتصميم المشروع فريق عمل مركز طارق والي العمارة والتراث وقام بالتنفيذ فريق عمل من الحرفيين والمرممين من أبناء المجتمع المحلي بالأقصر.

شكل 1 استراحة ستوبلير بالبر الغربي بالأقصر في 2017 بعد اعادة التأهيل

استقراء القيم الثقافية لاستراحة ستوبلير

تقع استراحة ستوبلير في قلب أحد أهم مواقع التراث العالمي بمصر وهو مدينة طيبة وجبانته بالبر الغربي بمدينة الأقصر، وتحديداً عند مدخل وادي الملوك، والاستراحة بناها المعماري المصري حسن فتحي لـ ألكسندر ستوبلير، عالم الآثار المستشرق الفرنسي من أصل بلجيكي وكبير المرممين في مصلحة الآثار في هذا الوقت، وذلك في بداية الخمسينات من القرن الماضي-ولا توجد كثير من المعلومات مؤكدة عن ألكسندر ستوبلير ولكن تشير بعض المصادر إلى دراسته الفنون في باريس واحتكاكه بالوسط الفني. حيث عمل ألكسندر ستوبلير كمدرس للفنون في باريس. من خلال عمله أوفد لمصر 1938 لإعطاء محاضرات عن تقنيات الرسم والترميم. في الوقت التي كانت تتعرض المقابر المصرية للتشويه و التدهور و كانت معرضة لخسارة زخارف الجدران البديعة، فأوصى عالم الآثار الفرنسي ومدير مصلحة الآثار ايتيان دريتون باستخدام ستوبلير كخبير لترميم جدران المقابر في جبانة طيبة، و تدريب أفراد لمساعدته في هذه المهمة. وقد قضى ما يقرب من 12 سنة في مصر-ويغلب الظن انه غادر إلى باريس في أواخر الخمسينات. لا توجد أي معلومات دقيقة عما حدث للاستراحة بعد مغادرة ستوبلير لمصر إلا انه توجد بعض الإشارات الدالة على استعمال الاستراحة لأغراض مؤقتة من وقت لآخر على أغلب الظن من قبل الأثريين العاملين بالبر الغربي. والوضع العام للاستراحة يؤكد أن المبنى ظل مهجور لفترات طويلة.

تحمل استراحة ستوبلير الكثير من القيم الثقافية ، حيث تمثل أحد النماذج القليلة المتبقية التي تعبر في تصميمها وتشكيلها وتقنيات بنائها عن تجربة ناجحة في استعادة الموروث المصري لعمارة الطين، وهي عمارة ذات هوية محلية تتناغم مع للبيئة المصرية وتستجيب بفعالية للقيود الوظيفية والاجتماعية؛ ويحمل كل ركن من أركان الاستراحة بصمة لأحدى الخبرات التقليدية في التصميم والبناء وعددا من الحرف اليدوية التي طالما صاحبت هذا النمط من العمارة وأصبحت بالتبعية في عداد الحرف المهددة الاندثار. وتحتل استراحة ستوبلير مكانة خاصة بين النماذج الباقية في وقتنا الحالي من عمارة الطين المصرية القديمة وذلك لأنها - بالرغم من تدهور حالتها المادية - شبه مكتملة ، فهي إحدى النماذج التي توثق للكيفية التي عاشت وتفاعلت خلالها عمارة الطين عبر تاريخ العمارة المصري القديم، بل وامتدت حتى مشارف العصر الحديث ، على أيدي رواد العمارة المصرية المحدثين في هذا القرن الذين استطاعوا أن يكتسبوا من هذا الموروث الحضاري الكامن في عمارة الطين الطاقة والقوة الدافعة لهم نحو أفاق إبداعية يحترم فيها الإنسان مكانه وزمانه من خلال موقف عقلاني ، متوازن مع وجدانه .. فأبدع هؤلاء عمارتهم المعاصرة دون أن تفقد أصالتها. من هؤلاء رمسيس ويصا واصف وحسن فتحي، مصمم ومنفذ استراحة ستوبلير.

إن استراحة ستوبلير لا ترتبط فقط بنمط فريد من أنماط العمارة المحلية ولكن أيضا بتجربة فكرية وفلسفية رائدة للمعماري المصري حسن فتحي، صاحب أحد أبرز تجارب إحياء واستعادة التراث المصري لعمارة الطين في القرن العشرين، والاستراحة نموذج مبكر لتجربته في هذا المجال حيث تزامن بناؤها مع بناء عمله الأشهر قرية القرنة الجديدة الواقعة بالقرب من استراحة ستوبلير، وكلاهما يعبر عن رؤيته لإمكانية المزج بين العلم والفن، وقدرة عمارة الطين المصرية على تقديم نموذج للممكن تحقيقه للملايين من فلاحي مصر، من أجل استرداد إنسانيتهم وحققهم في حياة أفضل. وعلى التكامل الممكن بين المعماري وعلمه والحرفيين وخبراتهم، من أجل بناء عمران تتناغم فيه المنفعة والجمال ويتحدى سلطة المال والتقنية.

كما تحمل الاستراحة قيمة تاريخية وتوثيقية، حيث توثق لمرحلة هامة من التاريخ المصري هي فترة ازدهار حركة التنقيب الأثري في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. والتي بنيت خلالها عدد من استراحات المنقبين المثلثة لاستراحة ستوبلير، استعان في ذلك بالخبرات المحلية لأهالي الأقصر. فبنيت معظم استراحاتهم بتقنيات متشابهة -أغلبها بالطوب اللبن -حتى النصف الأول من القرن العشرين استمر بناء استراحات المنقبين من الطوب اللبن، لدواعي انخفاض تكلفة المواد الخام وتميز عمارة الطين. أغلب تلك الاستراحات هدمت لم يعد لها وجود، إلا أن هناك ما يقرب من خمسة عشر استراحة لا تزال باقية في مواضع مختلفة من الأقصر ، يتركز العدد الأكبر منها في البر الغربي . تنقل تلك الاستراحات لنا صورة تكاد تكون واضحة عن العمارة التقليدية السائدة في تلك الفترة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الاستراحة بعمارتها الفريدة ولموقعها المتميز قد مثلت لعقود واحدة من أهم العلامات البصرية المميزة داخل السياق العمراني للبر الغربي وذلك نظرا لتمييز موقعها على تلة مرتفعة في مدخل وادي الملوك يسمح برؤيتها بوضوح من على بعد كيلومترات منها، ومن ناحية أخرى لتمييز صورتها البصرية وعمارته الفريدة المنسجمة مع البيئة الطبيعية المحيطة بها. وتمثل الاستراحة بعمارته صورة لإمكانية المعاصرة والتزاوج بين واحدا من أهم المواقع الأثرية "جبانة طيبة بوادي الملوك" وبين عمارة شعبية عاشت واستمرت مع المجتمع من مصر القديمة حتى العصر الحديث.

وعلى الرغم من القيم المتعددة التي حملتها الاستراحة خلال تاريخها، فإنه لا يمكن القول إنها كانت بحكم الظروف الراهنة حينئذ مفصولة عن الإطار المجتمعي المحلي لأسباب بعضها مرتبط بالفكر الاستشراقي لبعثات التنقيب في المنطقة وبعضها الآخر يرجع لعزلتها المكانية عن كيانات القرى المجاورة لها. وعليه فإن مسئوليتنا في إعادة تأهيل الاستراحة تجمع بين الحفاظ والتعريف والعرض للقيم الثقافية القائمة بالفعل بالاستراحة، والعمل على توظيف الاستراحة لخدمة المجتمع المحلي مما يمثل قيمة اجتماعية واقتصادية مستحدثة اليوم.

وضعية الاستراحة قبل إعادة التأهيل

وعلى الرغم من كل ما تحمله استراحة ستوبلير من قيم تاريخية و معمارية و عمرانية فإنها ظلت لعقود شبه مهجورة ومجهلة، تكاد تخلو المصادر والمراجع التاريخية والمعمارية من ذكرها ، بالإضافة إلى تجاهل المؤسسات الرسمية لتلك القيم المختلفة حيث أن الاستراحة ليست مسجلة كأثر أو كتراث معماري وغير مسجلة كذلك في قوائم الجهاز القومي للتنسيق الحضاري للمباني ذات الطابع الخاص . وهذا يضعنا أمام مسؤولية مهنية قبل المسؤولية التاريخية في حماية وإحياء التجربة من جديد باستعادة الحلم الضائع للمعماري وللمجتمع وإعادة تقديم التجربة في صورة معاصرة تواكب معطيات العصر في القرن الواحد والعشرين بكل متغيراته دون أن نسقط الموروث الحضاري والمجتمعي الذي تمثله تلك العمارة.

شكل 2 وضعية استراحة ستوبلير قبل اعمال اعادة التأهيل

شكل 3 وضعية استراحة ستوبلير قبل اعمال اعادة التأهيل

رؤية إعادة تأهيل استراحة ستوبلير

تبقى قناعاتنا أن المواقع التاريخية التراثية والأثرية تقدم صوراً لميلاد إبداعات تجسد عبقرية التقابل بين الإنسان وعصره، وتمثل طاقات كامنة يختزنها المكان على طول الزمان، لتكون إمكانية قراءة متجددة لإبداعات حضارية كانت ومستمرة، ومن هذه الرؤية تنطلق فلسفتنا في تنمية تلك المواقع وحمايتها من خلال إعادة تقويم العملية الإبداعية نفسها وإعادة اكتشافها في صورتها المطلقة المتمثلة أحياناً في التناقض الظاهر أو التفاعل الباطن. تتعدى تلك التنمية التجميل الظاهر إلى استحضار القيمة الحضارية بصورة تجعل الموقع ذاته متفاعلاً مع الزمن الحاضر، مع رسم صورة جديدة قديمة تتيح لنا أن نرى ونسمع لحضارة كانت، وتكتسب عملية التنمية بعداً مغايراً عندما تعاني المواقع من تدهور وتكون مهددة بالضياع والاندثار، فتظهر أولوية الحفاظ عليها وحمايتها.

وانطلاقاً من تلك الرؤية يطرح مشروع الحفاظ على استراحة ستوبلير عدد من القضايا المستهدفة من مجهودات الحفاظ التصدي لها وفي مقدمتها:

- **الواقعية ..** من خلال استقراء الإمكانيات والأنساق المتوارثة بالاستراحة والمجتمع المحيط مع مراعاة المتطلبات والاحتياجات الآنية والمستقبلية وصولاً إلى التوازن بين الموروث وتأصيله ومتغيرات العصر .
- **الشمولية ..** الحفاظ على الاستراحة من خلال رؤية لا تنفصل عن العمران الحادث للمنطقة المحيطة التي ينتمي إليها، ومراعاة دوافع التغيير والنمو المستحدث أو المستقبلي المتبادل بين الاستراحة ومحيطها العمراني.
- **الاستدامة ..** من خلال حتمية أن تحقق التنمية الثقافية وحماية التراث مردوداً اقتصادياً بالإضافة إلى مكاسبه الاجتماعية لضمان التشغيل والصيانة المستمرة.
- **المشاركة ..** تتم عملية الحفاظ بمحاورها المتوازية ومنها أو في مقدمتها المحاور الثقافية للتنمية بإشراك المجتمع المحلي، وضرورة التعامل الواعي مع التقاطع بين التراث والبيئة والمجتمع
- **الجدوى الاقتصادية والتنموية** من خلال إعادة التأهيل والتوظيف المناسب للعصر والمجتمع.

عموماً إن مدخلنا ورؤيتنا نحو الحفاظ على أي موقع تراثي ذات بعد تنموي في المقام الأول، ومشروطة دائماً باستجابتها لاستقراء القيم الثقافية بالموقع ولإشكاليات الوضع الراهن للموقع ومحيطه العمراني ، وتفاعلها مع الإنسان الذي به وله تتم التنمية، وشموليتها في رؤية الإمكانيات القادرة على تحقيق التنمية؛ وما تحمله تلك المواقع من تراكم حضاري وثقافي يمثل الطاقة الكامنة وقنوات الاتصال مع العالم الخارج عنها، هو ما يمكن أن يقدمه المعماري في تعبيرات وتراكيب معمارية وعمرانية فاعلة ، وفعاليات ديناميكية مرتبطة بالحياة المعاصرة والحادثة، تتخطى حدود الوجود المتحفي الاستاتيكي إلى الفاعل، من خلال التواصل مع هذا الدور الحضاري الثقافي، تواصل متوازٍ ومتزامن بين الفكر والتصميم والتراث والعصر؛ تواصل يُمكن المعماري والعمراني من وضع استراتيجية عامة توجه سياسات وآليات الحفاظ والتنمية.

وانطلاقاً من تلك الرؤية فإن "إعادة تأهيل المواقع التراثية" هي آليتنا المثلى في تحقيق حفاظ تنموي ومستدام لاستراحة ستوبلير. مع الأخذ في الاعتبار أن إعادة التأهيل لا تقتصر على التدخلات المادية بصورها المختلفة لإنقاذ المبنى ولا تبدأ بها، بل باستقراء الموقع واكتشاف تلك الطاقات الكامنة التي تعطي للموجود وجوده وقيمه؛ ثم صياغة عمارة ذات المكان ومجاله العمراني اليوم من خلالها. ومن هذه الرؤية ننطلق لإعادة تأهيل استراحة ستوبلير معتمدين على فهم وإدراك لمكوناتها ويتأكد ذلك بتفاعل عمارة الاحتياجات المستحدثة وانسجامها مع ذات المكان؛ فتتشكل صورة جديدة قديمة لها دورها التنموي المتفاعل مع المجتمع المحيط.

ويلعب اختيار التوظيف الملائم للاستراحة دوراً محورياً في عملية إعادة التأهيل، حيث لا ينبغي أن يساعد على إنقاذها فقط بل على إرجاع الحياة إليها، ويمتد أثره إلى العمران المحيط والمدينة، خاصة إذا أثرت عملية توظيفها على السياق الاقتصادي الاجتماعي للمحيط المباشر أو الأشمل، وهنا يظهر الفرق بين إعادة الحياة إلى المبنى بالتوظيف الملائم وبين تحنيطه بالترميم؛ حيث تشمل إعادة التأهيل وتتضمن إجراءات تهدف إلى إعادة إحياء المبنى وظيفياً، سواء بنفس الوظيفة السابقة أو وظيفة جديدة متوافقة مع وظيفة المنشأ الأصلية، من خلال التعديلات والتغييرات والتحسينات والإضافات الضرورية والمطلوبة لتبني الوظيفة المستحدثة المقترحة، وحسب دراسات مستفيضة وشاملة ودون التأثير على قيم وحالة عناصر المنشأ المختلفة. وتتضمن هذه السياسة إعادة الاستخدام التكيفي، والذي يهدف إلى تبني وظيفة ملائمة ومناسبة جديدة للاستراحة تعمل على تعزيز قيمها التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

صمم حسن فتحي استراحة ستوبلير لأحد العلماء المستشرقين العاملين في مجال الترميم والحفاظ على آثار مدينة طيبة الجنائزية في منتصف القرن العشرين، فكانت الاستراحة مستقراً ومسكناً ارتبط بالحفاظ على آثار المنطقة والقائمين عليه. فهي واحدة من محطات نقل خبرة هؤلاء العلماء المستشرقين ومعارفهم في مجال التوثيق والترميم إلى الكوادر المصرية حينئذ، والمبنى بتصميمه وعمارته يحتوي تلك الحالة من نقل الخبرات بمفاهيم وآليات النصف الأول من القرن العشرين .

واليوم ونحن بصدد إعادة تأهيل ذات المبنى والحفاظ على قيمته المعمارية التراثية، تكتمل ذات التجربة سواء في عمارة المبنى من خلال الحفاظ عليه وإعادة ترميمه، أو في تمثيل تجربة المحتوى، عن طريق توظيف الاستراحة في نقل الخبرات الحديثة في القرن الواحد والعشرين في مجال التوثيق والحفاظ على الآثار بتقنياتها المعاصرة إلى المجتمع المصري من خلال إعادة تأهيل توظيف المبنى مركزاً لتدريب تقنيات التوثيق الرقمي ثلاثي الأبعاد عالي الدقة.

وبين الحفاظ على تراث المبنى المعماري وقيمه، وبين إعادة توظيف ذات المبنى نكون قد حققنا عودة كاملة لإحياء التجربة واستدامة الفكرة، للمبنى ومحتواه الانتفاعي. ويمكن القول أن ذلك المدخل في إعادة تأهيل استراحة ستوبلير يحقق هدفين رئيسيين :

- **ضمان الاستمرارية الثقافية:** وذلك بالكشف عن القيمة التاريخية لتلك المواقع وتطور عمارتها وعمرانها وعلاقتها بالمجال العمراني المحيط بها والكشف عن الرسائل الثقافية التي قدمتها تلك المواقع في زمانها وتوقع الممكن تقديمه للحاضر .
- **ضمان الاستمرارية المادية:** وذلك بتبني وسائل استعادة الوجود المادي الأصلي واتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان وقف العوامل التي تهدد سلامته واستمراريته واتخاذ التدابير الوقائية لمنعها مستقبلياً

مراحل إعادة تأهيل استراحة ستوبلير

وهكذا تفرض علينا تلك الرؤية التعامل مع الاستراحة بمنهجية واعية تحترم رسالته الثقافية من جهة، ووجوده المادي من جهة أخرى. وعليه يتم إعادة التأهيل محورين رئيسيين وهما:

أولاً: استقراء تاريخ وعمارة الموقع لاستحضار رسالته الثقافية وتحديثها

وذلك بدراسة الاستراحة بصورة تحليلية ونقدية داخل سياقها الزمني والمكاني، والتعرف على الأبعاد المختلفة لعمارته الفريدة والفلسفة التي تحملها، تطورها التاريخي، وارتباطها بالأحداث والشخصيات المختلفة، الأدوار التي لعبتها، والعوامل التي أثرت عليها، وغيرها من الدراسات التي من شأنها أن تطور رؤية وفلسفة المشروع .

ثانياً: تدخلات استعادة المنشأ مادياً وإعادته إلى الحياة

وتشمل إعادة التأهيل الجوانب الهندسية لإعادة صياغة الاستراحة صياغة جديدة تلبي احتياجات التوظيف المستحدث، وتتضمن بجانب الترميم والصيانة تنسيق الموقع وإضافات وتجهيزات فنية خاصة بالأعمال الصحية أو الكهربائية؛ هنا لا بد أن تعالج تلك الإضافات والتركييبات بحساسية شديدة بحيث لا تؤثر على التكوين أو المظهر المعماري للاستراحة، وكذلك عند الإضافات المعمارية الداخلية التي قد يلجأ لها المعماري، يلزم معها دراسة واستنباط مواد جديدة تناسب الاستراحة، وحتى في اختيار أنماط الأثاث اللازمة بحيث تظهر مستمدة من الملامح الفنية للمبنى. كما قد يحتاج توظيف الاستراحة تهيئة البيئة العمرانية المحيطة به، ومنها تهيئة الطرق المؤدية إلى الاستراحة أو تنسيق الموقع .. والارتقاء بالبيئة العمرانية المحيطة لتتناسل معها.

شكل 4 بعض التدخلات المادية لإعادة تأهيل استراحة ستوبلير

لقد اعتمدت رؤيتنا في تحقيق استمرارية الرسالة الثقافية التي تحملها الاستراحة وعمارتهما الفريدة على التعامل مع المشروع كنموذج للكيفية التي يمكن بها لعمارة الطين التراثية بوجه عام أن تجدد عطائها، وخاصة في ظل رؤيا المعماري الرائد حسن فتحي لتلك العمارة. وعليه، فقد قامت إعادة التأهيل على احترام فلسفة المعمار الأصلي للاستراحة في تنفيذ كل من التدخلات الخاصة بالحفاظ على الاستراحة ومعالجة التدهور الواقع لها وكذلك تدخلات المطلوبة لتلبية الاحتياجات المستحدثة والخاصة بإعادة الاستخدام. وتعد أبرز سمات عمارة الطين التي تعبر عن تجدد عطائها قابلية هذا النوع من المعمار لإعادة التدوير المتكرر والكيفية التي يمكن بها لإعادة التدوير أن تنتج معمارا جديدا قديما يتواءم مع البيئة ويوفر كافة الاحتياجات المعاصرة، وكذلك اعتماد هذا النوع من المعمار على تكامل جهود المتخصصين والحرفيين والبنائين وغيرهم من العمالة الغير مدربة والتي ثبتت سهولة تدريبهم على العديد من المهام الحيوية أثناء مراحل البناء والترميم.

وهكذا فقد أخذت التدخلات المادية لإعادة تأهيل استراحة ستوبلير في اعتبارها خطوطا عريضة، أبرزها: إعادة تدوير الطوب اللبن والبياض الطيني، الالتزام بالتقنيات وطرق البناء الأصلية، الاعتماد على العمالة المحلية، استخدام خامات محلية – ما أمكن - كما تمنح تقنيات البناء في هذا النوع من المعمار لصانعه نوعا من المرونة والحرية في الإضافة والحذف والتعديل بصورة تضمن تناغم الحديث مع القديم .

شكل 5 صور توضح بعض التدخلات المادية اثناء وبعد التنفيذ

وفي ظل تلك الأطر تم التخطيط والتنفيذ لعدد من التدخلات الرئيسية التي تدرجت من معالجة وترميم وتدعيم الهيكل الإنشائي للمبنى بداية من الأساسات إلى الجدران والأسقف، واستعادة التشطيبات الداخلية والخارجية وكذلك أعمال تنسيق الموقع الخارجي، كما استدعت الاستخدامات المعاصرة للاستراحة عدد من التدخلات أهمها إعادة تأسيس البنية التحتية وشبكات المرافق للاستراحة ووصولاً إلى تأثيث الاستراحة وتوفير كافة التجهيزات اللازمة للوظيفة المعاصرة.

دور عملية إعادة التأهيل في تفعيل المشاركة المجتمعية

طالما ارتبط المجتمع المحلي للبر الغربي بالأقصر بالمواقع التراثية التي يزخر بها البر الغربي كله، وإن اختلف هذا الارتباط عبر المراحل المختلفة من تاريخهم. ففي مرحلة التنقيب والكشف عن تلك المواقع حيث اقتصر العمل في مجال الكشف الأثري وقت بناء الاستراحة على الخاصة من المستشرقين وعدد قليل من المصريين، واقتصر دور أبناء المجتمع المحلي على دور العمالة الغير مدربة المستخدمة في الأعمال الشاقة. وتلك المرحلة نفسها التي تشكلت خلالها الكثير من ملامح المجتمع والأدوار المختلفة التي لعبوها سواء في تاريخ الكشف والحفاظ وعلى التراث المصري، حيث اشتهروا بمعرفتهم أسرار المنطقة و ساعدوا في بعض الكشوفات الأثرية الهامة واشهرها الكشف عن خبيئة المومياءات بالدير البحري وارشدوا العديد من الأثريين عن مقابر جديدة و مقبرة توت عنخ

آمون، أو فيما مثله - طبقا لهيئة الآثار وقتها - من تهديد مباشر لذلك التراث العظيم واجهت الهيئة مشكلة سكنى الأهالي للمنطقة الأثرية - أهالي قرية القرنة القديمة - مما تسبب في لجوء الكثير منهم إلى سرقة الآثار وترتب عليه ضياع الكثير من تراثنا المدفون، هربت هيئة الآثار لمواجهة المشكلة بنقل السكان إلى قرية القرنة الجديدة وأوكلت مهمة إنشاء القرية إلى المعماري حسن فتحي، ويعتقد الكثيرون إن ما أنجزه حسن فتحي في بناء مساكن قرية القرنة هو ما ألهم الكسندر ستوبلير بتكليف حسن فتحي ببناء الاستراحة. وهكذا فإن الكثير من التقاطعات كانت ولا زالت قائمة بين أبناء البر الغربي وخصوصا أهالي القرنة والقرى الملاصقة وبين الكشف والحفاظ على المواقع التراثية... وإذا كانت المرحلة المذكورة من تاريخهم قد رسخت أن إبعاد الأهالي عن تاريخهم هو خير وسيلة للحفاظ عليه فإن لنا رؤية معاكسة لذلك وهو استعادة الصلة بين المجتمع وتراثه وتفعيل دورهم الإيجابي في الحفاظ على تراثهم والمرهونة بالطبع بوعي المجتمع لانتمائه لذلك التراث.

شكل 6 الفريق المنفذ للتدخلات المادية بالاستراحة من ابناء المجتمع المحلي بالاقصر

وفي هذا الإطار واجهت تجربتنا في إعادة تأهيل استراحة ستوبلير فيما يخص إشراك المجتمع المحلي في تجربة الحفاظ على الاستراحة عددا من المعوقات أهمها :

- العزلة المكانية النسبية لموقع الاستراحة لارتباطها بمواقع الكشف الأثري في مدخل وادي الملوك والتي رسخت الانفصال بين الاستراحة ووظيفتها عن المجتمع المحلي المحيط.

○ التشوه الثقافي الذي شكل رؤية أهالي المنطقة لعمارة الطين وما توارثوه عن قصور هذا المعمار عن مواكبة متطلبات العصر، فضلا عما روجت له وسائل الإعلام عبر عقود عن عمارة الطين بوصفها "عمارة الفقراء"

○ غياب الوعي بإمكانيات عمارة الطين وقدرتها على إعادة التشكل والعطاء والتأقلم مع متغيرات العصر. هكذا فإن هدف المشروع في المقام الأول إلى خلق نوع من التفاعل الإيجابي بين استراحة ستوبلير ومجتمعها المحيط والأشمل، يبدأ بإعادة وصل أبناء المجتمع بتراثهم الأصيل وبأهمية الحفاظ عليه، و بالمردود الإيجابي الممكن للمشاركة في مجهودات الحفاظ المختلفة، سواء الحفاظ على الاستراحة في حد ذاتها كموقع تراثي له أهمية فريدة، أو في المشاركة في الحفاظ على التراث المصري بوجه عام من خلال المشاركة في أنشطة مركز التدريب المتعلقة بالتوثيق الرقمي ثلاثي الأبعاد عالي الدقة للمواقع التراثية ويتمحور مفهوم المشاركة في رؤيتنا حول إسهام أبناء المجتمع المحلي بجهودهم الذاتية بشكل فعال فردي أو جماعي في عملية الحفاظ مع كافة المؤسسات الرسمية، وفي مشروع إعادة تأهيل استراحة ستوبلير اتخذت برامج تدريب المجموعات من المجتمع المحيط دورا محوريا في تفعيل مفهومنا للمشاركة، ليصبح أبناء المجتمع المحلي طرفا في كافة مراحل المشروع المختلفة.

شكل 7 المجموعة الاولى من المتدربين على التوثيق الرقمي ثلاثي الابعاد اثناء التدريب في مركز التوثيق باستراحة ستوبلير

للاطلاع على المزيد من التفاصيل وقراءة الدراسة الكاملة للمشروع يمكن زيارة موقع مركز طارق والي

[العمارة والتراث من هنا](#)